الفصل الأول

التركمان في العراق

منذ قرون عدة خلت سكنت العراق مجموعة من القبائل أثبتت تجانسها الاجتماعي ووحدة لغتها ـ أكثر من مرة عبر التاريخ ـ وتعيش جماعات وتظهر ميلا شديدا للاختلاط بالاجناس الاخرى التي تعيش معها تلك هم : التركمان والتركمان الموجودون في العراق هم حصيلة الهجرات القديمة من القبائل التركمانية ولعل أقدم هذه الهجرات كانت هجرة القبائل الطورانية[1] من الياقوتيون الذين هاجروا من قلب آسيا ـ من شمال الصين ـ وسلكوا الطريق الجنوبي (نان ـ لو Nan Lu) والتي تمتد من جبال تيان شان ـ مارة بكشغر ـ سمد ـ فرغانة ـ ايران ـ ميديا ـ قفقاسية ـ بوسفور ـ وتنتهي بالجزيرة)[2] وعندما وصل

---

١ ـ الطورانيون Touranians كلمة اطلقها الغربيون على الاقوام التركية التي تقطن المنطقة الممتدة من البحر الابيض المتوسط حتى منغوليا والتي تربط بينهم رابطة الدم والعنصر واللغة . وخلال حرب الاستقلال التركي (١٩١٨ـ١٩٢١) اراد جماعة من المتطرفين الاتراك جمع تلك الشعوب في دولة واحدة تحت راية تركيا الحديثة ولكن مصطفى كمال لم يمانى هذه الحركة فلم يبق منها الان غير الاسم فقط .

٢ ـ م . شمس الدين ـ مفصل تورك تاريخي ص ١١٧ والخريطة المرقمة (٧) مقابل ص ١١٢ .

الياقوتيون الى بلاد ميديا انتشروا على ضفتي نهري دجلة والفرات وذلك قبل الميلاد بما يقارب الـ ٨٠٠ سنة [١] .

ثم كانت الواقعة الكبرى بين الاسكندر المقدوني ودارا الثالث (٣٣٨ـ٣٣٠ ق.م) الفارسي قرب مدينة (كواكسيلا) [٢] وكان دارا قد جمع من الولايات الفارسية ـ وخاصة من ولايته الشرقية ـ جيشا جديدا (بعد ان دحر في المرة الاولى) عدته الف الف مقاتل يتألف من فرس وميدين وبابليين وسومريين وأرمن وكبادوكيين وبلخيين [٣] وصغد [٤] وارخزيان [٥] وساكي وهنود . والتقى الاسكندر ومعه سبعة آلاف من الفرسان وأربعون ألفا من المشاة بهذا الخليط المختل النظام غير المتجانس ودارت رحى القتال عند كواكسيلا فاستطاع الاسكندر بتفوق أسلحته وحسن قيادته وشجاعته ان يبدد شمله في يوم واحد [٦].

فتفرق هؤلاء في تلك المنطقة واختلطوا بالاقوام الساكنة فيها. وتسمى هذه الواقعة ايضا (اربيلا) نسبة الى اربيل وكانت سنة (٣٣٠ ق.م) وفي سنة (٥٤) هجرية بدأت هجرات القبائل التركمانية الى العراق بعد ان تغلب عليهم القائد (عبد الله بن زياد) كما أختار منهم ـ من اتراك الغز ـ الفي مقاتل يحسنون الرماية بالنشاب وبعثهم الى العراق واسكنهم البصرة [٧] .

ثم تتابعت هجرات القبائل التركمانية من الشرق الى الغرب

---

١ ـ م . شمس الدين من مفصل تورك تاريخي ص ٨٠ـ٨٤ .
٢ ـ كانت مدينة تبعد ستين ميلا عن اربيل الحالية وقد سميت الواقعة باسمها .
٣و٤و٥ هؤلاء القوم من القبائل التركية القاطنة في آسيا الوسطى .
٦ ـ ول ديوارانت ـ قصة الحضارة الجزء الثالث ص ٤٦٠ وم . شمس الدين ـ مفصل تورك تاريخي ص ٦٤ .
٧ ـ الطبري ـ تاريخ الامم والملوك ج٤ ص٢٢١ .

لاسباب جغرافية وسياسية حتى كانت هجرة مجموعة اخرى من القبائل التركمانية التي كانت تسكن اقاصي التركستان والذين عرفوا باسم السلجوقيين ـ نسبة الى زعيمهم سلجوق بن خاقان (عاش في اواخر القرن العاشر) الذي وحدهم تحت قيادته ـ وذلك خلال القرون الثاني والثالث والرابع الهجرية تحت ظروف قاهرة ـ وقد يمت القبائل التركية المهاجرة وجهها شطر الغرب وحاولت الاستقرار في اقليمي ما وراء النهر وخراسان ولم تلبث آن بسطت نفوذها على ايران والعراق وعلى اكثر اجزاء الشام وآسيا الصغرى [1] .

وعندما توحدت القبائل المغولية بقيادة جنكيز خان (١١٥٥ ـ ١٢٢٧ م) توجهت هذه القبائل من مواطنها في منغوليا واتجهت نحو الغرب كالسيل الهادر يقودهم جنكيز خان الذي اسس اعظم امبراطورية عرفها العالم والذي هز بفتوحاته اركان الدول جميعا فيما بين الصين شرقا والبحر الادرياتي غربا في النصف الاول من القرن السابع الهجري [2] .

وتجددت هجرة القبائل التركمانية في اواخر القرن الثامن الهجري عندما قاد تيمور لنك (١٣٣٦ ـ ١٤٠٥ م) ـ وهو احد أحفاد جنكيز خان ـ الجحافل المغولية نحو الغرب فأسس امبراطورية عظيمة جعل عاصمتها (سمرقند) وكانت ممتلكاتها تمتد من نهر (الكنج) شرقا حتى سوريا غربا . وكان الفتح العثماني للعراق سنة ٩٤١ هجرية آخر تلك الموجات من القبائل التركمانية . وقد اختلطت هذه القبائل في وادي الرافدين بعضها ببعض واسست فيها دويلات مختلفة حتى ان بغداد مركز الخلافة

---

١ ـ الدكتور عبدالمنعم حسنين ـ سلاحقة ايران والعراق ص١١ و١٦

٢ ـ الدكتور فؤاد عبدالمعطى الصياد ـ المغول في التاريخ ص١٤

الاسلامية اصبحت في يوم من الايام (عام ١٤٠١ م) تحت سيطرة القبائل التركمانية أكثر من قرن (حتى عام ١٥٠٨ م) [١] وقد استوطنت بقايا هذه القبائل في العراق ، في تلعفر وفي خط طويل من القرى على طريق الموصل من دلي عباس الى الزاب الكبير وتمركزت اكثريتهم في كركوك [٢] .

اللهجة التركمانية

تميز الانسان عن الحيوان بظاهرة اجتماعية كبرى هي « اللغة » وهذا ما دعى علماء الاجتماع لتعريف الانسان بأنه حيوان ناطق . ولقد كان ميلاد اللغات نتيجة حتمية لتطور الظروف المعاشية للانسان حيث ان قساوة الطبيعة جعلته يفكر بالتقرب الى الآخرين والاستعانة بهم لمجابهة الاخطار الناجمة عن السيول والصواعق والحيوانات المفترسة فكانت (الاصوات) من أعظم الاسلحة التي استعان بها الانسان الاول لمجابهة تلك المخاطر . واكتسبت هذه الاصوات ـ بمرور الزمن ـ معان ودلالات تطورت فيما بعد فكانت قوام (اللغة) .

وهكذا فقد ولدت اللغة التركية في قلب آسيا وحملتها القبائل التركمانية الرحالة في هجراتها نحو الغرب ولقد كانت في أول الامر ـ مثل بقية اللغات ـ بدائية تفي بحاجة المتكلمين بها

١ ـ بروكلمان ـ تاريخ الشعوب الاسلامية ج٣ ص٣٢ والدكتور مصطفى جواد واحمد سوسه ـ دليل خارطة بغداد ص٢٨٤ وعبدالكريم محمود غرايبه ـ تاريخ العرب الحديث ج١ ص١٦

٢ ـ لونكريك ـ اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث ـ ترجمة خياط ص ١٠

حيث البساطة في كل شيء وكانت قليلة المفردات خشنة المخارج ولكن احتكاك هذه القبائل بالاقوام الاكثر تمدنا وحضـــارة كالصينيين والهندوس والفرس والعرب ادخلت الـــكثير من مفردات لغاتهم الى اللغة التركية فاصبحت اكثر مرونة وسلاسة وأعظم قدرة على استيعاب نتاج افكار تلك الاقوام ، ورغم اتحاد هذه القبائل في الاصل والعنصر فقد كانت لهجاتهم غير متشابهة فكانت «ثمة اختلاف في لغات هذه القبائل» [1] .

ولقد كانت قبل الاسلام لهجتان متمايزتان شائعتين في اللغة التركية . لهجة كوك تورك ولهجة الاويغور[2] وبعدما دخل التركمان في الدين الاسلامي اطلق على لهجة كوك تورك (اللهجة الغربية) وعلى لهجة الاويغور (اللهجة الشرقية) وقد استعملت هذه التسميات كثيرا من قبل المستشرقين ورواد الحضـــارة العربية .

ثم استبدلت هذه التسميات باخرى فسميت اللهجة الشرقية بـ « الخاقانية » التي تطورت فيما بعد الى جغطائية نسبـة الى أحد أبناء جنكيز خان . ومن المؤلفات المكتوبة بهذه اللهجـــة معراجنامة وبختيارنامة وتذكرة الاولياء وقوتاد غوبيليك وغيرها ، ولا يزال يتلاغي بها التركمان في شرقي (كاشغر) حتى اواسط الصين . أما اللهجة الغربية فقد اطلق عليها اللهجة (الاوغوزية) نسبة الى اوغوز خان جد التركمان الاعلى . وهي اللهجة التي حملتها السلاجقة الى ايران ومنهم الى آسيا الصغرى والعراق . وقد نست وتطورت هذه اللهجة تحت تأثير اللغتين العربيـــــة

---

١ ــ الدكتور عبدالمعطي الصياد ــ المغول في التاريخ ص ٧

٢ ــ كمال دميراى ومصطفى اوزون ــ تورك ديلي واد بياتي ص٥٤

والفارسية وفي ظلها انشأ الاتراك في القرن الثالث عشر الامبراطورية السلجوقية . وكان سقوط الامبراطورية السلجوقية وقيام الامبراطورية العثمانية سببا في انقسام هذه اللهجة الى اللهجة العثمانية واللهجة الآذرية (المتداولة في اذربايجان السوفيتية الآن) أما اللهجة التركمانية في العراق فهي وسط بين هاتين اللهجتين [1] . وأول من استعملها من الشعراء التركمان هو نسيمي البغدادي في القرن الرابع عشر [2] . ولقد كانت اللهجة الغربية سلسة مطواعة ويعود ذلك الى ان المتكلمين بها (السلاجقة) كانوا يجاورون اقواما ذوي حضارة ومدنية راقية كالفرس والعرب مما أثر كثيرا في اللهجة العربية وصقلها وجعلها تساير تلك الاقوام في مناحي حضارتها . أما اللهجة الشرقية (التي لا يزال يتلاغى بها المغول والقارلوق) فقد كانت خشنة ويرجع سبب ذلك الى انهم كانوا في حروب دائمة فيما بينهم الى ان وحدهم جنكيز خان والقى بهم في اتون حرب مستمرة لم تتح لهم الفرصة للاستقرار كالسلجوقيين والاستفادة من حضارة الاقوام المجاورة لهم كالصينيين والهندوس وغيرهم .

وقد كانت اللغة الفارسية لغة الادب الرفيع والمراسلات الرسمية في العهود المغولية والسلجوقية والعثمانية فقد استخدمها المغول في المراسلات الرسمية كما ان جنكيز خان كتب قانونه المسمى بـ « ياسانامة بزرك » بهذه اللغة [3] كما ان نظام الملك وزير السلطان ملكشاه السلجوقي ألف كتابه المشهور « سياستنامة »

---

١ ـ عباس العزاوي ـ الكاكائية فى التارية ص ٤٦
كارل بوركلمان ـ الاتراك العثمانيون وحضارتهم ص ١٠٩
٢ ـ كارل بروكلمان ـ تاريخ الشعوب الاسلامية ج٣ص١٠٩
٣ ـ الدكتور فؤاد عبدالمعطى الصياد ـ المغول في التاريخ ص٢٣٧ وما بعدها

باللغة الفارسية [1] وقد احتفظ العثمانيون فترة طويلة باللغة الفارسية وقوالب الشعر الفارسي حتى ان السلطان سليم الاول نفسه نظم ديوانا كبيرا بلغة الفرس [2] .

ثم أخذت اللغة التركية تحتل مكانتها في الساحات الواسعة التي تمتد من منغوليا شرقا حتى بحر الخزر غربا حيث أصبحت اللغة الثقافية الثالثة ـ بعد الفارسية والعربية ـ للعالم الاسلامي منذ القرن السابع الهجري ـ الثالث عشر الميلادي [3] ولقد كان تيمور واسرته يتكلمون اللغة التركية مما كان له أعمق الاثر في ترجيح كفة هذه اللغة لتحتل مكانتها كلسان قومي لهم وقبل ذلك كان الشاعر التركماني احمد يسوي يستعمل هذه اللغة في اشعاره وقصائده [4] ويمكننا اعتبار عهد مراد الثاني (١٤٢١ ـ ١٤٥١) الذي شمل برعايته العلماء والشعراء والموسيقيين نهاية الثقافة العثمانية المعتمدة على اللغة الفارسية حيث ظهرت في بلاطه اولى المؤلفات المسهبة باللغة التركية [5] ولم يهمل شأن اللغة العربيةفقد كانت لغة العلوم الدقيقة فيتلك العهود لان امهات الكتب القانونية والفقهية والطبية كانت موضوعة باللغة العربية كما دخلت الكثير من الالفاظ العربية الى اللغة التركية ويمكننا القول بأن اللغة التركية في عهد العثمانيين كانت مزيجا من اللغات الفارسية والعربية والتركمانية ولا يعني ذلك ان اللغة العربية قد سلمت من الالفاظ الدخيلة فقد دخلها الكثير من الالفاظ التركية لان المجتمع الذي يسود في فترة معينة تسود لغته ، وتغنى نتيجة

١ ـ الدكتور عبدالمنعم حسنين ـ سلاجقة ايران والعراق ص١٨
٢ ـ كارل بروكلمان ـ الاتراك العثمانيون وحضارتهم ص١١٠
٣ ـ بارتولد ـ تاريخ الحضارة الاسلامية ص ١٠٦
٤ ـ كاظم قدري ـ تورك لغتى ص ٧
٥ ـ كارل بروكلمان ـ الاتراك العثمانيون وحضارتهم ص٤٠

للحاجة الى ابتكار معان جديدة لتساير تطور المجتمع حتى يواصل سيره . وهكذا عندما تأسست الامبراطورية العثمانية تقهقرت اللغتان الفارسية والعربية وسادت اللغة التركية التي سميت فيما بعد بـ « لغات عثمانية » ولقد روى الشـــاعر المرحوم معروف الرصافي هذه الحادثة [1] للدلالة على وجود الالفاظ التركية في اللغة العربية حيث قال [2] :

« لقد اجتمعت ببغداد مرة بأحد مأموري الحكومـــة في مجلس حافل فأخذ يكلم بعض الحاضرين هكذا :

رحنا الى بيت فلان فلما دخلنا السلاملك صعدنا فوق وكانت باية من بايات النردبان متهدمة وبما ان النردبان كان قرانلـــق عثرت رجلي نهايسه صعدنا ودخلنا الاودة وقعـــــدنا بصورة قارماقارشيق وكان الضياء سونك فحصل عندي صقنتي» .

ولقد ابتدع العثمانيون فكرة « الاتحاد العثماني » لكسب تأييد الشعوب الاسلامية حتى ان مجلة «تفكر» الصادرة في بغداد باللغتين العربية والتركية كانت تخدم افكار الاتحاد العثمـــاني وتدعو له [3] ونتيجة لذلك فقد ولدت لغة جديدة سميت (لغات عثمانية) وكانت مزيجا من لغات الشعوب الاسلامية في الاتحاد العثماني .

وكان الادب المكتوب بهذه اللغة يسمى « ادب الديوان » ولكن ما ان أطل القرن التاسع عشر حتى بدأت حركة تسلســـل الشباب العثماني للمطالبة بالدستور واطلاق الحريات ولا سيما

١ ــ مجلة لغة العرب لانسطاس كرملي ــ الجزء الرابع سنة ٩١١
٢ ــ الكلمات التي تحتها خط الفاظ تركية .
٣ ــ انسطاس اكرملي . مجلة لغة العرب . الجزء التاسع سنة ٩١٢

حرية النشر كما تزعم شاعر الوطن التركي « نامق كمال » حركة التجديد في اللغة العثمانية وكانت الحركة تستند الى نقطتين هامتين اولا : تنقية اللغة من الالفاظ الدخيلة وايجاد الفاظ تركية صميمة لتحل محلها والاستناد في ذلك على ادب الشعب الشائع في الدولة العثمانية . وثانيا : نبذ ادب الديوان وخلق ادب جديد يرتكز على الواقعية ويعبر عن آمال الشعب التركي وآلامه[1] ، ووجدوا في أدب الغرب منهلا صافيا فقاموا بترجمة الروائع الكلاسيكية الفرنسية والانكليزية والالمانية والروسية الى اللغة التركية . وعندما تأسست الجمعيات السرية وقويت الحركة القومية في الدولة العثمانية وخاصة بعد حرب طرابلس الغرب (١٩١١) وحرب البلقان (١٩١٢) والحرب العالمية الاولى (١٩١٤) أصبح من المستحيل تجرع الهزائم التي منيت بها الجيوش العثمانية وكانت نتائج الحرب العالمية الاولى واقتسام الدولة العثمانية بين الحلفاء وتقسيم تركيا نفسها والمظالم التي اقترفها اليونانيون والطليان وموقف الحلفاء من تركيا من اهم الاسباب التي دفعت الاتراك الى اعلان الثورة فكانت حرب الاستقلال (١٩١٩) التي قادها مصطفى كمال (اتاتورك) وحرر تركيا من المحتلين فولدت تركيا الحديثة . فاعلنت الجمهورية والدستور وانتخب (اتاتورك) بالاجماع رئيسا للجمهورية فقام باصلاحات هامة في البلاد وكانت مشكلة اللغة التركية من أهم العقبات التي جابهته فبدأ اولى محاولاته في تغيير الكتابة من حروفها العربية الى الحروف اللاتينية بكتابة ابتدعها اسماعيل حقي كما اقترح انور باشا كتابة حديثه لتيسير قراءة الحروف العربية . الا ان هاتين المحاولتين لم تصادفا نجاحا ولا

---

١ ــ باقي سها اديب اوغلو . تورك شعرندن ئورنكلر ص١٣

ذيوعا [1] فشكلت لجنة لدراسة الموضوع وفي عام ١٩٢٦ انعقد مؤتمر من الشعوب التركية في مدينة باكو لدراسة مشاكل اللغة والكتابة التركية حيث وافق المؤتمرون على ان تحل الحروف اللاتينية محل العربية [2] فاستعملت في تركيا الحديثة عام ١٩٢٨ بينما شاع استعمالها في اللغة الاذربايجانية واقاليم وسط آسيا التركمانية (بالابجدية الروسية) منذ عام ١٩٢٧ • وبعد انفصال العراق عن الامبراطورية العثمانية وتأسيس ما سمى بـ (الحكم الوطني) فيها حافظ التركمان على لغتهم وحاولوا اغناءها عن طريق ربطها بالثقافة العربية في العراق وما ذلك الا اعتزاز منهم بلغة القرآن وبأواصر المودة والمواطنة التي يكنها التركمان لوطنهم العراق ولاخوانهم المواطنين العراقيين • واذا القينا نظرة على انماط كتابة اللغة التركية في العالم فاننا نجدها قد استبدلت بالحروف اللاتينية الا في العراق وبعض المناطق التي يتعذر فيها استبدالها بحروف اخرى لظروف سياسية وفنية [3] ويمكننا اعتبار اللهجات التركية السائدة في الشرق الاوسط كالاذربيجانية والتركية والتركمانية اكثر تهذيبا وسلاسة من لهجات التركستانيين والقرغيزيين والاوزبكيين وما ذلك الا نتيجة حتمية لما طرأت على لهجات الشرق الاوسط التركية من تأثيرات حضارية هذبتها وادخلت فيها الكثير من المفردات الجديدة نظرا لمتطلبات الحياة التي يحياها التركمان في هذه المنطقة • وتعد اللهجة التركية

١ ــ حسين مجيب المصري ــ تاريخ الادب التركي ص٥٣٦
٢ ــ نفس المصدر
٣ ــ تستعمل الحروف العربية فقط في كتابات الاويغور في الصين وذلك لصعوبة تعلم الابجدية الصينية وكذلك في اليونان اذ لم تسمح الحكومة اليونانية باستبدالها بالحروف اللاتينية لاسباب سياسية .

الحديثة ذروة التطور والكمال للغة التركية التي هي مجموعة اللهجات التي يتلاغى بها المواطنون التركمان وابناء عمومتهم من الصين شرقا حتى البحر الابيض غربا . ومثلما تختلف اللهجات التركية بين اقليم واقليم فاننا نجد الاختلاف ذاته في اللهجة التركمانية في العراق . فهناك لهجة (تلعفر) وما جاورها من القرى ولهجة «التون كوپرى» وما جاورها ولهجة «كركوك وداقوق» وما جاورهما من القرى وهناك لهجة «بيات» ولهجة «كفرى وقرەتبة» ولهجة خانقين وقزلرباط وشهربان ومندلي وقرەغان وغيرها . هذه هي اللهجات الرئيسية التي يتلاغى بها التركمان في العراق وتعتبر لهجة (كركوك) اتقاها واقربها الى اللهجتين الاذربايجانية والتركية الحديثة لذلك اتخذت هذه اللهجة لغة للادب والثقافة التركمانية في العراق .

الأدب التركماني

يمكننا اعتبار الادب التركماني في العراق فرعا صغيرا من شجرة الادب التركي الضخمة التي تمتد فروعها من منغوليا شرقا حتى البحر الابيض المتوسط غربا لذلك رأينا استكمالا للبحث التحدث عن الادب التركي منذ نشأته لحين نشوء الادب التركماني المستقل في العراق سيما وقد كان العراق ـ في اغلب الاحيان ـ تحت رحمة الغزاة من التركمان والمغول والتيموريين . لقد كانت معظم القبائل التركمانية (المغول والسلجوقيون) من البدو ولم تكن لهم حضارة مثل جيرانهم الصينيين والفرس والعرب ولكن ذلك لا ينفي وجود «رسوم وتقاليد وآداب تتفق وحياتهم الفطرية

البسيطة الخالية من التكلف والتعقيد» [1] ولكن هذه الفنون لم تكن مدونة لانهم كانوا يجهلون القراءة والكتابة ولم يمنع ذلك من انتشارها بين القبائل فسرعان ما سرت هذه العادات في المناطق المجاورة للمغول وسادت جميع القبائل الاخرى التي انضوت تحت رايتهم [2] .

وان عدم معرفة هذه القبائل للقراءة والكتابة لا يعني انهم كانوا غير مثقفين لان الثقافة «ليس معناها التراث المدون في الكتب فقط ولكنها الى جانب ذلك وفوق هذا مجموعة من الصور والتعابير والعلاقات والتجارب والخبرات غير المحفوظة في الطروس وانما يتلقاها الافراد بالمحاكات والتلقين والدربة» [3] .

فقد كان (الاويغوريون) اوفر هذه القبائل حظا من الثقافة حيث كان لهم خط معروف يكتبون به حتى ان جنكيزخان «امر بان يتعلم اطفال المغول الخط الاويغوري» [4] وفي عهد غازان وخلفاءه — ثم في عهد انسبائهم ايضا حتى حدود الصين — انتهت الفارسية الى ان تكون الى جانب اللغة التركية لغة الديوان الرسمية ولغة الاتصال الدولي وكانت المرونة والطواعية تموزان اللغة المغولية ولم يكن ثمة مجال لنشوء حياة فكرية مستقلة بين المغول [5] غير ان الاويغوريون كانوا قد قطعوا اشواطا بعيدة من حيث تطوير لهجتهم وادبهم وحياتهم الفكرية بفضل الابجدية السامية التي انتقلت اليهم بواسطة المرسلين النساطرة منذ القرن

---

١ — الدكتور فؤاد عبدالمعطى الصياد — المغول في التاريخ ص ٢٣٧
٢ — نفس المصدر ص ٢٢٨
٣ — الدكتور عبدالحميد يونس — مجتمعنا ص٤٣
٤ — الدكتور عبدالمعطى الصياد — المغول في التاريخ ص ٢٣٧
٥ — كارل بروكلمان — الامبراطورية الاسلامية وانحلالها ص ٢٧٦

الخامس الميلادي وتتكون هذه الابجدية من (١٤) حرفا وطريقة كتابتها سهلة جدا . وقد اصطنع هذا الخط في كتابة اللغة التركية الشرقية ايضا [١] حيث حل محل الخط الاورخوني الذي كان منتشرا في القرن الثامن الميلادي والذي كتب به المسلات الاورخونية تخليدا لذكرى الابطال الاتراك حيث نصبت احداها باسم البطل (كول تكين) سنة (٧٣٢م) والاخرى للبطل (بلكة خان) سنة (٧٣٥م) ويتألف هذا الخط من (٣٨) حرفا كما كان يكتب من فوق الى اسفل مبتدأ من اليمين [٢] وبالاضافة الى ان هذه المسلات تشكل وثيقة تاريخية هامة فانها تبين من جهة اخرى الحياة الفكرية لدى الاتراك خلال القرن الثامن الميلادي .

وبالاضافة الى الخطين الاويغوري والاورخوني اصطنع الاتراك ابجديات اخرى في كتاباتهم منها محاولة المبشرين المسيحيين في ايجاد ابجدية جديدة مشتقة من الابجدية اليونانية بعد أن تم ترجمة الانجيل الى التركية بغية تنصير الاتاركة الخزر كما شوهدت هنا وهناك بعض القبائل التركمانية تستعمل الابجدية السلافية والعبرانية وغيرها [٣] وقد كان الشعر التركي يسبق تطور الابجدية التركية بمراحل حيث كان للاتراك شعراءهم الذين كانوا يسمون (شامان) او (اويون) او (قام) او (باقصي) او (اوزان) . وكان هؤلاء الشعراء يقومون في نفس الوقت بالطبابة والسحر وعزف الآلات الموسيقية في حفلاتهم التي يقيمونها فتأخذهم النشوة وتتملكهم حالة لا شعورية تجود قرائحهم اثناءها بقصائد شعرية [٤] —

١ — نفس المصدر ص ٢٧٧
٢ — عارف مفيد مانسال واخوانه — اورتا چاغ تاريخي ص ٢٤
٣ — نفس المصدر ص ٢٥
— عارف مفيد مانسال اورتاچاغ تاريخي ص ٢٦

وكان هؤلاء يعتبرون انفسهم وسطاء بين الآلهة والانسان يستوحون اعمالهم من الآلهة وينقذون البشر من شر المردة والجان بطرقهم السحرية .. وقد سميت هذه الطريقة بالشامانية وكان الاتراك يدينون بها قبل دخولهم الدين المسيحي ثم الاسلامي حيث فقد هؤلاء بعد ذلك تأثيرهم السحري على الناس واحتفظوا بمراكزهم كشعراء فقط [1] واظن بأن الحاجة التي دفعت الحدائين العرب لايجاد نوع من الكلم يتناسب مع سير الابل في الصحراء والذي اعتبر فيما بعد بداية للشعر العربي .. هي نفسها التي دفعت بالقبائل التركية الرحالة لايجاد نوع من النظم خاصة بهم ربما كان بداية للشعر التركي . ويقول الاستاذ صديق القادري الذي كان أبان الثورة الاشتراكية في روسيا ضابطا في الجيش القيصري وحارب في التخوم الشرقية يقول « كان للاويغور اغان طويلة يتناوب في انشادها شخصان وكانوا ينشدونها في رحلاتهم ويسمونها «خرەوات» او «خور» وهي تحكي عن أحوالهم ومستقبلهم وغرامياتهم وبطولاتهم وفروسيتهم ولا زالت القبائل الرحالة من التركمان والقرغيز والمنغوليين ينشدونها حتى يومنا هذا » [2] .

وتتنوع المواضيع في الشعر التركي ويشكل الشعر البطولي والمراثي المساة « ساغو » اقسامه الرئيسية . كما ان للاتراك ملاحمهم القومية التي تنقسم الى ثلاثة أقسام :

١ ــ ملحمة هينكنو

٢ ــ ملحمة توك يو

---

١ ــ نفس المصدر

٢ ــ الكاتب التركماني المرحوم ملا صابر ــ كركوك منتخب خورياتلرى ج٣ المقدمة

٣ ــ ملحمة اويغور

وتعتبر ملحمة (اويغور) اهم هذه الملاحم وقد وصل الينا فقط قسم منها وهو المسمى (اغوزنامه) ويدور حول معارك وبطولات أحد سلاطين الاتراك المسمى « اوغوز خان » [١] .

كما ان كتاب (دەده قورقوت) الذي اكتشف بعد قيام الامبراطورية العثمانية يعتبر جزء من ملحمة تركية قديمة .

أما أول أثر ادبي تركي مستقل بعد نقوش اورخون فظهر عقب سقوط الدولة الاويغورية في كاشغر بنصف قرن . ففي هذه المدينة نظم «يوسف خاص حاجب» البلاساغوني (سنة ١٠٦٩م ــ ١٠٧٠م) قصيدة تعليمية كبرى للسلطان بغراخان حسن بن سليمان ارسلان قصد بها أن يبرز حكمة الحياة للامراء بخاصة ومن هنا جعل عنوانها «قوتادغو بيليك» أي «علم السعادة» [٢] ولقد بنى يوسف قصيدته هذه على آراء أبن سينا الفيلسوف وأفرغها في وزن شعري مقتبس عن الاوزان الفارسية وهو يضع مواعظه على ألسنة شخصيات رمزية من اختراعه فواحدة تمثل العدالة واخرى تمثل السعادة الى غير ذلك من الشخصيات وتكشف لنا هذه الشخصيات على الرغم من ضروب التكلف الساذجة عن نواح كثيرة في ما يتصل ببيئة المجتمع والدولة في محيط الناظم الثقافي ولم يكن الخط الاويغوري يصطنع الا في أحوال فردية ثم انه افسح المجال شيئا بعد شيء للخط العربي [٣] وجائز أن تكون النسخة الاصلية من قصيدة قوتادغو

---

١ ــ اورتا چاغ تاريخى ص ٢٦ وفؤاد كوپريلى ــ تورك ادبيات تاريخى ص ٥٦ــ٧٢ وجميع الكتب الادبية التي تبحث عن تاريخ الادب التركي .

٢ ــ كارل بروكلمان ــ الامبراطورية الاسلامية وانحلالها ص٢٧٧

٣ ــ كارل بروكلمان ــ ونفس المصدر ص ٢٧٨

بيليك قد كتبت بهذا الخط العربي ايضا [1] .

ولعل أقدم أثر فكري للمغول هو كتاب «الياسا الكبير»[2] الذي أمر بكتابته جنكيز خان بالخط الاويغوري وكان يحوي معظم العادات والتقاليد والاحكام والتي أضاف اليها جنكيز خان بعض القواعد ليكون دستورا يرجع اليه المغول في امورهم وكانت نصوص الياسا محترمة جدا لدى المغول الى درجة تبلغ التقديس فكان عندهم بمثابة القرآن عند المسلمين بحيث انه لا يجرؤ شخص حتى السلطان نفسه على مخالفتها [3] .

كان للشعر التركي اوزانه الخاصة قبل الاسلام وكانت تسمى بـ « الهجا » كما كانت جميع القصائد تنظم على شكل رباعيات وذات قوافٍ ناقصة . وقد تأثر الادب التركي بالادبين العربي والفارسي بعد دخول القبائل التركمانية للاسلام فانتقلت أوزان الشعر العربي (العروض) الى هذا الشعر بالاضافة الى اشكال النظم وفنون الادب الاخرى .

وهكذا فقد جاهد المفكرون الاتراك المتأثرين بالثقافة الاسلامية في ايجاد ادب جديد يساير هذا التطور فكان ميلاد ادب الديوان وذلك خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر الميلادي . أما جماهير الشعب فقد انعزلت عن هذه الحركة الجديدة التي قامت على أكتاف الطبقة الارستقراطية ذات المراكز

---

١ ــ توهم كثير من الباحثين وذهبوا مذهب الاستاذ بروكلمان فى ان قوتادغوبيليك قد كتبت بالخط العربي ولكن الدراسات الحديثة اظهرت بانها قد كتبت بالخط الاويغورى مع استعمال الحروف العربية الغير الموجودة فى الابجدية الاويغورية وهي (خ ، ع ، ه) ــ (انظر كتاب «تورك لغتي» للاستاذ حسين كاظم قدرى ص ١٧)

٢ ــ ياسانامه بزركك

٣ ــ الدكتور عبدالمعطي الصياد ــ المغول في التاريخ ص ٢٢٤

الهامة وانشأت لها ادبا خاصا ـ تحت تأثير الاسلام ايضا ـ هو وسط بين ادب الديوان والادب الشاماني القديم وقد اطلق على هذا الادب الشعبي اسم «ادب التكايا» لانه نما وتطـــور في زوايا التكايا وكان ذو مضمون ديني يستهدف مدح الرسول وآل بيته . لذلك فقد اتجه الشعر التركي اتجاهات ثلاثة :

١ ـ شعر الساز . وهو امتداد للشعر التركي الذي كان قائما قبل الاسلام .

٢ ـ شعر الديوان . الذي ولد بعد تأسيس ادب الديوان .

٣ ـ الشعر الديني . الذي نما وترعرع في التكايا تحت تأثير آدب الشعب .

وقد اطلق على الشعر التركي المنظوم باوزان الهجا التركية وبقوالب الشعر التركي وبلهجة تركية صميمة وسهلة والذي كان يعبر عن ذوق الشعب وتفكيره عبارة «ادب الشعب» ، أمـــا الشعر الذي كتب تحت تأثير الثقافة الاسلامية والذي يعتمد على اوزان العروض واصول النظم في الادبين العربي والفارسي فيسمى « ادب الديوان »[1] .

ولا يسكننا ايراد نماذج من النثر التركي خلال هذين القرنين لانه لم يصل الينا شيء منه . أما أول أثر تركي مستقل مكتوب تحت تأثير ادب الديوان فهو ديوان «قوتاد غوبيليك » الذي ألفه يوسف خاص حاجب البلاساغوني . ويتألف الديوان من قصيدة شعرية مفرغة في وزن البحر المتقارب[2] . ولا يبدو أثر الاسلام واضحا جليا في هذه القصيدة في حين انه اخذ بالوضوح اكثر فأكثر في

---

١ ـ وصفي ماهر قوجاتورك ـ تورك ـ ادبياتي ص ٤

٢ ـ بروكلمان الامبراطورية الاسلامية وانحلالها ـ حاشية الصفحة ٢٧٨ من الكتاب

الادب الشعبي الذي نشأ على هذا الغرار والذي كان يدور على الاعم الاغلب حول معراج النبي وسير الاولياء [1] .

أما في القرن الثاني عشر فقد اعتبر ديوان « هبة الحقائق » للشاعر اديب احمد الاثر الثاني لادب الديوان . وكان الشاعر قد كتب هـذه القصيدة في مدينة (يوغناق) واهداها للامير سپاهسالاربك حاكم ولاية سمرقند وهذه القصيدة تعليمية مثل قوتادغو بيليك ولكنها تعتمد على ايراد الامثلة في مضمار الجهل والخسة والنسية مقابل فوائد الثقافة والعلم والكرم والشهامة وقد كتبت باوزان العروض وعلى شكل رباعيات شعرية. اما أشعار أحمد يسوى المتوفي سنة ١١٦٦ م فانها تعتبر نموذجا لادب التكايا وقد جمع اشعاره في ديوان (الحكمة) الذي ضمنه شكاته عن الحياة الدنيا وعرض فيه صورا للجنة وجهنم ومدائح الرسول وصورا في معجزاته وارشاداته الدينية والاخلاقية وقد كتبت هذه القصائد باللهجة الخاقانية التركية وباوزان الهجا التركية وعلى شكل رباعيات [2] . ويعتبر هذا الشاعر الذي ولد في مدينة (يسي) بتركستان مؤسس اولى الطرق الصوفية لدى الاتراك وقد نظم قصائده هذه بلغة الشعب ليتمكن من نشر تعاليم طريقته بسهولة ويسر لذلك يعتبر مؤسس الشعر الشعبي الصوفي في الادب التركي [3] ولقد نما الادب التركي وترعرع خلال حكم دولة القراخانيين (٩٣٢ ــ ١٢١٢) ودولة السلاجقة (القرن الحادي عشر ــ الثالث عشر) التي قبلتا الاسلام دينا . وقد أصبحت العربية لغة العلم والفارسية لغة الادب في هاتين الدولتين أما

١ ــ بروكلمان ــ الامبراطورية الاسلامية وانحلالها ص ٢٧٨
٢ ــ آكاسرى لاوتد ــ تورك ادبياتى ص ٢٤
٣ ــ نفس المصدر ص ٢٧

التركية فقد انتهى بها المقام لتكون اللغة المتداولة بين افراد الشعب وعندما استولى السلاجقة على اقاليم خراسان وما وراء النهر وبين النهرين ساعدوا على زيادة صلة ايران بالخلافة العباسية مما كان له أبعد الاثر في اختلاط الايرانيين بالعراقيين وامتزاج حضارة كل من البلدين بالاخرى فاصبحا يمثلان معا صورة واضحة صادقة للحضارة الاسلامية في مرحلة من أهم مراحلها [1] وقد بلغ الادب الفارسي ذروة الازدهار في ذلك العهد كما راجت في عهدهم فن القصص المنظومة بالفارسية وبلغ درجة عظيمة من الاتقان والجودة وكان من أبرع شعراء هذا الفن الشاعر الاذربيجاني نظامي الكنجوي [2] .

وفي بداية القرن الثالث عشر اجتاحت الجحافل المغولية تركستان وبلاد خوارزم وايران وخراسان والعراق فالتجأ الادباء والشعراء والمفكرون والعلماء الى الامبراطورية السلجوقية في آسيا الصغرى فازدهر سوق الادب في الاناضول كما انها أصبحت من مراكز الثقافة الاسلامية وكانوا لا يزالون يتخذون من العربية لغة للعلم ومن الفارسية لغة الادب . أما التركية فكان استعمالها قاصرا على الاوساط الشعبية وقد اثرت الطرق الصوفية التي هاجر شيوخها من اواسط آسيا وايران الى الاناضول اثر غزوات المغول في اساليب الشعر التركي تأثيرا بينا . وعندما آل الامر الى العثمانيين انتشرت الطرق الصوفية كالمولوية والبكتاشية في طول البلاد وعرضها وكانت الطريقة المولوية التي اسسها مولانا جلال الدين الرومي تعتمد على الثقافة الفارسية لذلك اعتبر ادبها نموذجا لادب الديوان وكان الشاعر سلطان ولد (١٢٢٧ —

١ — الدكتور عبدالمنعم حسنين — سلاجقة ايران والعراق ص ٤٥
٢ — نفس المصدر ص ٢٠٢

٢٣١٤) خير ممثل لهذا الادب . أما الطريقة البكتاشية التي أسسها الحاج بكتاش ولي فكانت تعتمد على اللغة التركية الواسعة الانتشار بين جماهير الشعب فنظموا اشعارهم التي يسمونها (انقاسا) باوزان الهجا وباشكال النظم التركي لذلك ذاعت قصائدهم في الاوساط الشعبية وهذا مما ساعد بدوره لانتشار هذه الطريقة في تلك الاوساط لذلك يعتبر ادبها نموذجا لادب الشعب كما يعتبر الشاعر يونس امره خير ممثل لهذا الشعر الشعبي والى جانب ادب التصوف ازدهر في قصور الامراء العثمانيين شعر دنيوي يصطنع الطرائق الفارسية وكان هذا الشعر يدور حول الهوى والشراب ويعتبر الشاعر (دهاني) اول من طرق هذا الباب الجديد في الشعر التركي في هذا العصر . اما الادب الشعبي فقد اتجه في هذا العصر نحو الملاحم التي تتغنى ببطولات التركمان خلال المعارك بين المسلمين والروم مثل ملحمة (بطال غازي) و (دانيشمند نامة) التي تروي بطولات الامير أحمد دانيشمند مؤسس الدولة الدانشمندية كما ولدت في اواسط آسيا اوائل القرن الثالث عشر ملحمة (جنكيز نامة) التي تتغنى ببطولات جنكيز خان المغولي [1] . وهكذا يعتبر القرن الثالث عشر العصر الذهبي لادب الشعب من جهة ولادب التصوف من جهة ثانية كما ازدهر ادب الديوان وأينع عن ثمرة جديدة الا وهو ميلاد ادب جديد يتحدث لاول مرة عن امور دنيوية . وما أن أطل القرن الرابع عشر حتى تجزأت الامبراطورية السلجوقية الى امارات صغيرة فانحط مستوى الثقافة العام . واخذت اللغة التركية تحل محل لغتي الادب العالي الفارسية والعربية ونشأ

---

١ ــ آكاه سرى لاوند ــ تورك ادبياتى ص ٣٦

نشر ديني شعبي استهدف تفسير القرآن وتنمية الحياة الروحية [1] وبدأت قوتان كبيرتان تتنازعان العالم الاسلامي آنذاك . ظهور موجة مغولية جديدة بقيادة تيمور لنك في الشرق وقيام العثمانيين بانشاء دولتهم في الغرب . وكان المغول بقيادة تيمور لنك يشملون الشعر والعلوم برعايتهم فأدوا بذلك خدمة جليلة الى الادب الفارسي والادب التركي الشرقي [2] اذ كانت لغة تيمور واسرته هي التركية [3] .

اما العثمانيون فقد كانوا بعيدين عن الثقافتين العربية والفارسية لذا وجدت اللغة والشعر التركي لهما مكانا في قصور امرائهم واعتبرت التركية اللغة الرسمية في الدولة الامبراطورية لذلك تطورت هذه اللغة وظهرت المؤلفات التركية في الشعر والنثر كما نبغ كثير من الشعراء وعلى رأسهم (كول شهرى) وعاشق باشا (١٢٧٢ ــ ١٣٣٣) واحمدي (المتوفي عام ١٤١٤) والحق ان عهد مراد الثاني (١٤٢١ــ١٤٥١) الذي شمل برعايته العلماء والشعراء والموسيقيين يمثل من نواح متعددة نهاية الثقافة العثمانية القديمة المعتمدة على الادبين العربي والفارسي وفي بلاط مراد الثاني ظهرت اولى المؤلفات المسهبة في اللغة التركية وكانت الترجمة اساسا لاقدمها من غير شك [4] وفي القرن الرابع عشر ولد الشاعر

---

١ ــ بروكلمان ــ الاتراك العثمانيون ص ٤٠

٢ ــ بروكلمان ــ الاتراك العثمانيون وحضارتهم ص ٣٢

٣ ــ بارتولد ــ تاريخ الحضارة الاسلامية ص ١١١

٤ ــ بروكلمان ــ الاتراك العثمانيون وحضارتهم ص ١٠٩

التركماني عماد الدين نسيمي [1] في احدى ضواحي بغداد ونشأ فيها . ويعتبر نسيمي (المتوفى سنة ١٤٠٤) مؤسس الادب التركماني في العراق فهو اول من استعمل اللهجة التركمانية التي هي خليط من لهجة الاناضول الشرقية واللهجة الاذرية في نظم الشعر [2] .

ويظهر نسيمي خلال شعره شاعرا رقيقا يعبر عن خلجات نفسه بقوة وعمق في قصائد صوفية ذات دلالات عميقة حيث كان من المتصوفة الغلاة ومن طبقة الحروفيين مما اثار شعره وآراؤه ضجة في الاوساط الدينية وهذا ما حدا بعلماء حلب الى اتهامه بالزندقة واصدار فتوى بقتله فنفذ فيه الحكم وسلخ جلده في المدينة المذكورة .

ويعتبر نسيمي — بالاضافة الى كونه اول شاعر تركماني عراقي — من الشعراء الاوائل الذين كان لهم الفضل الاكبر في تطوير ادب الديوان كما ان له مكانته السامية في شعر التصوف التركي الذي نظم فيه قصائد صوفية وغزلية في شكل مثنويات بديعة .

وعندما آل الامر الى السلطان محمد الثاني (١٤٥١ — ١٤٨١) ازداد اهتمامه بالادب وأضاف الى جميع المساجد التي شيدها مكتبات حافلة بكنوز من الاداب الاسلامية . وكان السلطان محمد الثاني شاعرا — مثل معظم سلاطين آل عثمان — وقد اتسعت آفاق الشعر التركي في هذا العهد كثيرا الا انه لم يتعد قط حدود القصيدة الغزلية الضيقة المعروفة منذ عهد حافظ والرامية الى أغراض ليست هي بالصوفية الخالصة ولا الشهوانية الخالصة ولكنها وسط بين ذلك . وفي هذا العصر تحولت اللهجة التركية

---

١ — نسبة الى قصبة (نسيم) احدى ضواحي بغداد القديمة
٢ — بروكلمان — الاتراك العثمانيون وحضارتهم ص ٤٦

الشرقية (الخاقانية) الى اللهجة الجغطائية التي نبغ فيها كثير من الشعراء والعلماء فيما بعد أمثال الشاعر سكاكي في عهد السلطان اولوغبك (٤٠٩ــ١٤٤٩) والشاعر الامير علي شـــير نوائي (١٤٤١ ــ ١٥٠١) في عهد السلطان حسين بيقرا (١٤٦٩ــ١٥٠٦) حاكم هراة وكان نوائي أمير شعراء عصره محبا لوطنه وصـارت مؤلفاته كتبا كلاسيكية لجميع الاتراك في الساحات الواسعة من توبول حتى استنبول [١] ، كما ان السلطان بابرشاه (١٤٨٢ ــ ١٥٣٠) مؤسس دولة المغول في الهند ترجم سيرته في كتاب سماه « بابرنامة » وهو يعتبر كتاب النثر الكلاسيكي بحق وقد كتبه بلغة تركية سهلة واضحة[٢] .وقدكانمعظم شعراء الدولةالعثمانية ينظمون بالتركية في القرن السادس عشرالميلادي حتى ازدهر الادب والفن في هذا القرن . وقد كتب المستشرق كراميرس عن الادب التركي في القرن السادس عشر يقول «ان الحياة الادبية لم تزدهر في الاستانة وحدها وانما كان مثل ذلك في بغداد وديار بـــكر ونحوها [٣] ولعل أكثر شعراء بغداد في ذلك القرن كان نظمهم بالتركية [٤] كما وجد شعراء آخرون ينظمون بالتركية والفارسية والعربية امثال فضولي البغدادي وحكيم زادة وذهني عبدالجليل نجف زادة البغدادي وغيرهم » .

ويمكننا اعتبار هذا القرن عصر ازدهار الادب التركماني في العراق فقد ظهر في هذا القرن الشاعر التركماني المبـدع فضولي البغدادي (١٤٩٨ ــ ١٥٥٨) الذي اعتبر مجدد الشـعر التركي

١ ــ بارتولد : تاريخ الحضارة الاسلامية ص ١١٢
٣ ــ نفس المصدر ص ١١٣
٢ ــ يعقوب سركيس ــ مباحث عراقية ج٢ ص ١١٢
٤ ــ نفس المصدر ص ١١٥

ومبدعه والذي انتهت امارة الشعر ورياسة الكلام في هذا العصر اليه [1] لانه أمير البيان التركي وحامل لواء نظمه ونثره والشاعر الاعظم كما وصفه عبدالحق حامد وقد امتد اثره حتى عصرنا الحاضر وذلك لصدق تعبيره ولنظرته الشعورية الى الكون فقد كان ينظر اليها نظرة العاشق الولهان ويظن بان المحبة علة الكائنات يشعر بها في انبلاج السحر وابتسامة الربيع وتغريد الهزار ويعبر عن كل ذلك بلسان المحب الولهان كما انه تغنى بالاخوة الانسانية تلك القوة المقدسة التي تربط بين البشر برباط المحبة والالفة [2] كان فضولي سابقا لعصره لذلك شعر باغلال التقاليد والعادات البالية منذ نعومة اظفاره وانطلاقا من هذا الشعور كتب ملحمته الخالدة « ليلى مجنون » مصورا فيها مأساة الشباب التركماني خاصة والعراقي عامة في محاولة الانفلات من أسر هذه العادات والتقاليد في اطار رومانتيكي جذاب من الحب والايثار والتضحية وان هذا الحب الانساني يتطور خلال الملحمة الى حب الهي معبر عنه بشعر يعتبر من روائع الشعر الصوفي الاسلامي .

أستعمل فضولي نفس اللهجة التركمانية التي كان ينظم بها نسيمي اشعاره . وقد ترك لنا كنزا من النظم والنثر في اللغات العربية والتركمانية والفارسية يربو عددها على (١٨) أثرا [3] .

فبالاضافة الى دواوينه في اللغات العربية والتركمانية والفارسية فقد كتب باللغة التركمانية «بنك وباده» وملحمة «ليلى ومجنون» نظما و « حديقة السعداء » نثرا كما ألف كتاب « مطلع

---

١ ــ الدكتور حسين علي محفوظ ــ فضولي البغدادي ص٣
٢ ــ الكاتب الاذربيجاني البروفيسور حميد آرسلي ــ مقدمة ملحمة ليلى والمجنون
٣ ــ الدكتور حسين علي محفوظ ــ فضولي البغدادي ص ٢٦

لاعتقاد» في علم الكلام باللغة العربية .

كما ظهرت الملاحم الشعرية في هذا العصر وكان من أبرزها ملحمة (كوروغلو) التي تتحدث عن معارك (كوروغلو) أحد الأبطال التركمان الذين قاوموا الغزو الفارسي والمغولي . وتبلور الشعر الديني أيضا وكان الشاه اسماعيل الصفوي الملقب في شعره بـ (خطايي) من أبرز شعرائه وقد اتخذ فيما بعد مرشدا لشعراء التصوف في النسج على منواله . كما أزدهرت ـ في هذا القرن ـ القصص الشعبية عن حياة الرسول (ص) والحسين الشهيد (رض) وكان اسلوب هذه القصص جامعا بين البساطة والتشويق ، وقد افرغت في قوالب شعرية بديعة[1] .

وفي القرن السابع عشر كان طابع الشعر التركي « صوفيا رومانتيكيا» حيث نزع الشعراء الى (تقليد مثنوى جلال الدين الرومي ومثنوي كل من جامي ونظامي)[2] .

وكان زعيم هذه المدرسة الشاعر باقي (المتوفي سنة ١٦٠٠ م) ويعتبر كتاب « كلشن شعراء » الذي ألفه الشاعر التركماني عهدي البغدادي (المتوفى عام ١٠٠٢ م) من الكتب النفيسه حيث تناول الشاعر فيه كثيرا من الشعراء التركمان امثال والهي البغدادي . ذهني جلبي . آتشي . أكرم بك قايتمز بك قره قويونلى وغيرهم . ويعتبر هذا الكتاب ثاني كتاب نثر تركماني بعد كتاب « حديقة السعداء » لفضولي البغدادي .

ونظرا لاشتداد حركة الجامعة الاسلامية في هذه الفترة فقد كان الشعراء يكتبون باللهجة العثمانية التي كانت اداة التعبير عن هذه الحركة كما ظهر في هذا القرن بعض الشعراء التركمان في

---

١ ـ بروكلمان ـ الاتراك العثمانيون وحضارتهم ص ١١٠

٢ ـ نفس المصدر ص ١١١

العراق أمثال روحي البغـــدادي وفضـــلي . اما في الادب الشعبي التركي فقد نبغ من الشعراء عاشق عمر وجوهري وقول اوغلو وكاتبي وغيرهم . كما يعتقد بأن ملحمة (اصلي كرم) قد كتبت في هذا العصر .

تعاظمت الدولة العثمانية وغدت قوية بعد الفتوحات التي تمت حتى القرن الثامن عشر حينما بدأ الضعف يدب في جسم الامبراطورية نتيجة للثورات الداخلية والحروب الخارجية وفي ختام القرن الثامن عشر بدأت الامبراطورية دور الركود وانتقلت من الهجوم الى الدفاع وقد رافق هذا الضعف السياسي ضعف في حياتها الثقافية لان سلاطين ووزراء هذا العهد لم يكونوا ليعيرون الادب اي اهتمام ، وكان الشعر التركي لا يزال تحت تأثير الروائع الفارسية الكلاسيكية ورغم ذلك فقد ظهرت بعض المحاولات الفردية الرامية الى ادخال الاسلوب الشعبي التركي على الادب[1]

أما آلام العصر ومساوىء النظام الاجتماعي فقد عبر عنها بسناجات مريرة وان لم يعدم وجود مقطوعات ينتقد الاحوال الاجتماعية السيئة انتقادا لاذعا [2] . وفي هذه الفترة ظهر الشاعر التركماني المشهور عبدالرزاق نورس (المتوفى سنة ١١٧٥ هـ) فأخذ ينتقد الاوضاع الشاذة ويهجو السلاطين والوزراء مما حدا بالسلطان الى نفيه لولاية بورصة حيث قضى فيها أيامه الباقية وتوفي بها ولم يطبع ديوانه لحد الآن وانما طبع اثره المنثور « مبالغ الحكم » [3] اضافة الى ذلك ظهر بعض الشعراء التركمان أمثال غريبي الاربلي وأسعد نائب الكركوكلي وغيرهم . وقد

١ ــ كارل بروكلمان ــ الاتراك العثمانيون وحضارتهم ص ١٦٦
٢ ــ نفس المصدر ص ١٦٧
٣ ــ ابراهيم علاء الدين تورك مشهور لرى ص ٢٨٣ وسجل عثماني

تبلور الشعر الاجتماعي في هذه الفترة نظرا لتردي الاوضـــاع ولانغماس السلاطين في الملذات واقتسام البلاد بين الاقارب والولاة فكان الشعر يعبر عن ذلك بالشكوى تارة وبمهاجمة الفساد والمطالبة بالاصلاح تارة اخرى .

كما ان ظاهرة مدح السلاطين ـ الذي برز منذ الايام الاولى للشعر التركي ـ كانت تسير جنبا الى جنب مع هذا الانحطـــاط المستشري وكان نظم الشعر في هذا الباب أما رهبه من ســـطوة الحكام[1] أو رغبة في المال والجاه[2] .

وراح الشعراء في هذه الفترة الى نظم الحوادث المهمة في البلاد من ذلك قصيدة غريبي الاربللي الذي ارخ فيها مد خطوط التلغراف الى بغداد سنة (١٢٨١ هـ) وقصيدة عبدالله الصافي التي ارخ بها بناء الجسر الحجري في كركوك سنة (١٢٩٢ هـ)[3] وفي القـــرن التاسع عشر بدأت تيارات الافكار الحرة تهب على الامبراطورية العثمانية من اوربا كما ترجمت شوامخ الفكر الادبي الى اللغـــة

---

١ ـ نظم معظم الشعراء قصائد مدحية خوفا من بطش الحكام مـن ذلك على سبيل المثال لا الحصر ـ قصيدة في مدح تيمورلنك عندما دخل بغداد وهي من نظم الموسيقار عبدالقادر المراغـي التي مطلعها :ـ

مشرق ومغرب مسخر دور سعـــكا
دولت ونصـــرت مقرردور ســـكا
فتح ونصـــرت دائما يملكنـــدور
دولتن حقدن مقـــردور ســـكا

٢ ـ منها قصيدة فضولي في مدح مراد الرابع عند فتحه بغداد ولـم ينل ما كان يرجوه وقصيدتي الشاعر ثاقب خضر وعبدالله الاربللي في مدح داوود باشا حيث نال الاول ـ جائزة ثلاثـــة آلاف قرش والآخر كانت جائزته ان نال قضاء اربيـــل عباس العزاوي ـ تاريخ العراق بين احتلالين ج٦ ص ٢٤٧

٣ ـ ع. عزاوي ـ تاريخ العراق ج٨ ص ١٣١

العثمانية كمؤلفات روسو وموتيسكيو وغوته ولوك وهوجو غيرهم . وبدأ الشباب العثماني يتحرك ويؤلف الجمعيات السرية والعلنية للتبشير بالافكار الحرة وكان الهاربون من تعسف السلاطين الى اوربا يعودون في فترات انتعاش الحريات الى الوطن حاملين معهم الآراء النيرة وينشرونها بمقالات نارية في الصحف والمجلات. ومن ابرز الكتاب في هذا القرن ضيا باشا . عبدالحق حامد . نامق كمال . شناسي . أحمد مدحت . فكانوا في كتاباتهم ينحون منحى جديدا لم يكن معروفا في الادب التركي فقد أحدثوا تجديدا شاملا في مختلف فنون الادب كما حاولوا تطعيم الادب التركي بالروائع الغربية وادخلوا كلمات الوطن والشعب والحرية والاستقلال الى الحياة الفكرية والادبية التركية بمدلولاتها الصحيحة [1] وكان الفضل الاكبر في ذلك يعود للمفكر التركي (نامق كمال) الذي يعتبر بحق (شاعر الوطن العظيم) .

كما أعاد المثقفون الاتراك النظر في تراثهم الادبي القديم ولم يعتبروه فنا اصيلا لانه كتب تحت تأثير الادب والذوق الفارسي وبذلك كثرت فيه المحسنات البديعية وطغت عليه الصناعة اللفظية لانه لم يكن مكتوبا للشعب بل كان للقلة الحاكمة آنذاك [2] لذلك فقد بدأوا ثورة في دنيا الادب فخرجوا على الاسلوب الفردي القديم وربطوا بين الادب والسياسة من جهة وبين الادب والشعب من جهة اخرى ولم تشمل اصلاحاتهم الادب فحسب بل تعدى ذلك الى (اللغة) نفسها فقد ابتعدوا عن استعمال الصناعة اللفظية في الاسلوب واحدثوا قواعد جديدة للغة التركية كما وضعوا معجما لهذه اللغة الجديدة وطالبوا المسؤولين بترك اسلوب المراسلات

---

١ ــ حكمت دزدار اوغلو ــ نامق كمال ص ١٣

٢ ــ نفس المصدر ص ١٤

القديم والكتابة بأسلوب أدبي جديد يتناسب والاصلاحات التي قاموا بها .

فكان من الطبيعي أن يتأثر الادب التركماني في العراق بذلك كله . لذلك نرى الشعراء ـ الذين كانوا قادة الحركة الادبيـــة التركمانية في العراق ـ يسيرون على نفس النهج وانطلاقا من هذه الفكرة كتب الشاعر التركماني عبدالله الصـــافي (١٢٤٤ هـ ـ ١٣١٦ هـ) معجما للغة التركمانية بقصد اصلاح هذه اللغة [1] كما طرق الشعر التركماني أبوابا جديدة منها : الشعر الاجتمـــاعي والسياسي الذي برز فيه الشيخ رضا (١٨٣٥ـ١٩٠٩) والوصف حيث اشتهر طبيب أوغلو بقصائده في الربيع وكذلك في وصف أجزاء جسم المرأة نظما ، والشعر القومي ـ ولو بالمعنى الضيق ـ الذي كان عبدالله الصافي من السباقين اليه كما اشتهر بعض الشعراء الاخرين في هذا القرن امثال عبدالرحمن خالص وفائض ومحمد مهري ومحي الدين قابل وغيرهم .

كان تأثر الادب التركي بالفارسية والعربية نتيجة منطقية لفقر هذا الادب من جهة ولوجود ثقافة وأدب فارسي شامخ مع كون القرآن والعلوم بالعربية من جهة اخرى وقد بقي الادب التركي تحت تأثير هذين الاديين الشامخين من القرن العاشر الميلادي حتى القرن العشرين عندما بدأت الثورة الثقافية في تركيا الحديثة تلك الثورة التي بدأها (نامق كمال) ورفاقه في القرن التاسع عشر وطورها ادباء الطليعة من الشباب أمثال عمر سيف الدين . جناب شـــهاب الدين . ضياء كوك آلب . محمد عاكف . خالدة اديب . يحى

---

١ ـ ومن مؤلفاته الاخرى ـ امثلة تركمانية . افترانامه بعـد ان وجهت له تهم من استنبول ـ قسطاس مستقيـم مناظرات جرت مع قسيس ـ ديوانه .

كمال بياتلي • حسين جاهد يالجين ورضا توفيق وغيرهم في بداية القرن العشرين فأدت الى الغاء (ادب الديوان) والابجدية العربية والاستعاضة عنها بالابجدية اللاتينية واحداث اوزان جديدة في الشعر التركي الحديث كما تنوعت المدارس الفكرية في النثر التركي مما كان له أبلغ الاثر في نتاج ادباء تركيا حيث ارتقوا بالادب التركي الى مصاف الاداب العالمية الراقية وقد تتلمذ عليهم جيل من الادباء الشباب امثال رشاد نوري • جاهد صدقي ترانجي • صباح الدين علي • اتاج • وغيرهم ممن تعتز وتفتخر بهم الامة التركية كما ترجمت آثار عبدالحق حامد ونامق كمال وجناب شهاب الدين وحسين رحمي ورضا توفيق وصباح الدين علي الى مختلف لغات العالم •

أما الادب التركماني في العراق فقد بقي تحت تأثير (أدب الديوان) حتى بداية القرن العشرين وكان خير من يمثله هو الشاعر هجري دده (١٨٧٧ ــ ١٩٥٢) اعظم شعراء التركمان بعد فضولي البغدادي لانه وان يكن تحت تأثير هذا الادب الا أنه تمكن ان يؤسس مدرسة قائمة بذاتها تلك المدرسة التي وفقت بين اسس أدب الديوان وبين الواقعية الحديثة حيث كما آراءه كسوة قشيبة وعبر عن لسان القوم (التركمان) بلهجة العصر[1] • ويتسم شعره بجزالة اللفظ وسلاسة الاسلوب وقوة الحبكة كما يتصف بالسمة الانسانية وسمة الحب التي يتصف بها الشعر الصوفي •

وقد ترك لنا كثيرا من الآثار المطبوعة وغير المطبوعة [2] أما

---

١ ــ ع عزاوى ــ الكاكائية في التاريخ ص ٤٩

٢ ــ هذه المؤلفات هي ــ يادكار هجرى . مطبوع سنة ١٩٢٢ . كركوك تاريخى ــ تركمانى ــ غير مطبوع . ترجيع بند ــ تركمانى مطبوع ترجمة كتاب سعيدى الى التركمانية غير

آخر من يمثل ادب الديوان(المدرسة القديمة) فهو الشاعر التركماني المعاصر محمد صادق وقد جاري في النظم هجري دده ولا يزال يختتم قصائده على عادة شعراء القرن السادس عشر بتضمينها اسمه في البيتين الاخيرين .

وبعد منتصف القرن العشرين بدأ الاهتمام بالادب التركماني حيث احس المثقفون التركمان بالحاجةالى تطوير هذا الادب والعمل على ذيوع الادب الشعبي التركماني وذلك بايجاد وسائل النشر التي تؤمن ذلك فبالاضافة الى جريدة كركوك الرسمية قام الشاعر التركماني سيد محمد جواد (١٣١٠ هـ ـ ١٣٧٩) باصدار مجلة « كوكب معارف » التي أصبحت منبرا للاقلام ، اذ كان ينشر فيها الشعراء التركمان اضافة الى الادباء والمفكرين امثال خضر لطفي وملا صابر وغيرهم ؛ ولكن لم يكتب لها البقاء فسرعان ما توقفت عن الصدور .

انتعشت الحركة الادبية بعد ثورة تموز فكان من الطبيعي ان ينال التركمان حقا من حقوقهم المغتصبة في العهدالمباد آلاوهوحرية النشر فسرعان ما صدرت مجلة البشير التي أصبحت مرآة تعكس الادب التركماني في العراق ... حيث بدأت طلائع ثورة جديدة في هذا الادب تناولت اسلوب الكتابة فابتعد عن الصناعة اللفظية وتنوعت المدارس الشعرية ، كما فكر جماعة من الادباء الشباب في وضع معجم للهجة التركمانية . وبعد تأسيس نادي الاخاء التركماني قام باصدار مجلة الاخاء (قارداشلق) باللغتين العربية والتركمانية . وهي الآن تحقق الرسالة التي بدأتها مجلة البشير

مطبوع ارشاد كائنات ـ غير مطبوع . رباعيات الخيام غير مطبوع . جانلى اثر ـ تركماني .

في خدمة الادب التركماني وتعريفه للمواطن العراقي . وهكذا فان الادب التركماني في العراق مقبل الآن على آفاق جديدة وأملنا كبير في الشباب المثقف لتطوير هذا الادب ليكون معبرا أكثر فأكثر عن حياة التركمان ومشاعرهم وتطلعهم الى مستقبل افضل يسوده الاخاء والمودة والسعادة .

الادب الشعبي

اعتاد مؤرخو الادب التركي على تقسيم الادب التركي الذي نشأ بعد الاسلام قسمين :

١ ــ ادب الديوان .

٢ ــ ادب الشعب .

وقد سلكنا في بحثنا هذا المنهج فتحدثنا في القسم الاول من الكتاب عن ادب الديوان واثره في الادب التركماني الذي نشأ في العراق بعد القرن الرابع عشر للميلاد .

أما الادب الشعبي فهو الذي نما وتطور في أوساط الشعب باوزان الهجا التركماني وباشكال النظم (الرباعية) ذات القوافي الناقصة وهو من هذه الناحية يعد امتدادا للادب التركي الشفاهي الذي كان معروفا قبل الاسلام . أما من الناحية التاريخية فان اكثر هذا الادب لا يعرف تاريخ منشأه بصورة مضبوطة ومرده الى انه كان شائعا قبل الاسلام وربما كان موجودا قبل (الاوزان) [1] بزمن بعيد ولعل هذا الادب قد نشأ في المجتمعات البدائية التي كونها التركمان في ادوار حياتهم الاولى لان ما يتضمنه من المراثي والحب والبطولة والفروسية تصور احاسيس التركمان ونمط حياتهم في

---

١ ــ اوزان : كلمة تطلق على شعراء التركمان قبل الاسلام .

تلك الادوار لذلك تعد دراسة الادب الشعبي التركماني ذات فائدة في تفهم نفسية التركمان بعاداتهم وتقاليدهم .

ولما كان ادب الشعب يتضمن احاسيس وافكار واماني الشعوب لذلك يعد تراثا خالدا يسعى كل شعب في المحافظة عليه اوصل ما انقطع من صلات بين الماضي والحاضر . فاذا القينا نظرة على فن من فنون هذا الادب مثلا ونعني به (الخوريات) فاننا نجدها تتضمن جميع مناحي النشاط الاجتماعي الانساني من عادات وتقاليد والغاز وامثال وبكائيات وفلسفة ... الخ

ينقسم الادب الشعبي التركماني قسمين :

١ ــ الادب الشعبي مجهول المؤلف وهو الادب الذي لا يعرف منشؤه ولا زمان انشائه لذلك يعد تراثا عاما للشعب ومن فنون هذا الادب الحكاية الشعبية (القصص الشعبية . النوادر . النكات . القصص التعليمي والاخلاقي . الاساطير) الحكم والامثال الشعبية ، الاغاني ، الخوريات ، الاصطلاحات الادبية والبكائيات .

٢ ــ الادب الشعبي معروف المؤلف : وهو الادب الذي انشأه مؤلف معروف وهو ينقسم قسمين :

أ ــ السير ــ وهي لون من القصص الطويل الذي يتراوح بين النثر والشعر ، نظمه شعراء معروفون في الادب التركماني بـ (عاشق) لذلك يطلق عليه (عاشق ادبياتي) أي أدب العشاق . وهو يدور حول البطولات والفروسية والحب ويشتمل على اشعار ملحمية . ولما كان منشيء هذا الفن يتغنى به بآلة موسيقية تركمانية تسمى (الساز) لذلك يطلق عليهم (شعراء الساز) ايضا .

وقد تطور هذا النوع من الادب الشعبي في المقاهي الشعبية

في ليالي الشـــــتاء وكذلك ليالي شـــــهر رمضان المبارك . حيث كتبت تحت تأثير الحضارة الاســـــلامية خـــــلال القرنين ١٦ ــ ١٧ لذلك نجد فيها كثيرا من الالفاظ والكلمات العربيـــــة والفارسية . ومن اشهر هذه السير (كوروغلو) و (اصلي كرم) و (ارزي قنبر) و (ليلى مجنون) و (شاه اســـــماعيل) وغيرها .

ب ــ الادب الديني وهو الادب الخاص بالمذاهب الاسلامية فعندما انشأ التركمان ــ تحت تأثير الثقافة الاسلامية ــ ادبـــــا خاصا بهم حيث سموه أدب الديوان بقيت الجماهير الشعبيـــــة منعزلة عن هذا الادب الذي كان ادبا خاصا بســـــراة القوم من السلاطين والحكام والوزراء واتباعهم . لذلك نهجت هـــــذه الجماهير ــ تحت تأثير الدين الاسلامي ــ الى ابتداع ادب جديد يستمد جذوره من روح الدين الاسلامي الحنيف ويساير ادب التركمان الذي كان معروفا قبل الاسلام في اشكال النظم والوزن وعليه فان هذا الادب يعد وسطا بين الادب التركماني القـــــديم والادب الذي نشأ بعد الاسلام . وقد اطلق على هذا النوع من الادب « ادب التكايا » حيث نشأ في زوايا التكايا التي تعد المحفل الادبي والتوجيهي للمتصوفين . أما فنون هذا الادب فهي الاقتباس البكتاشية والصوفية ومدائح آل بيت الرسول ومراثي الحسين الشهيد والنكات البكتاشية وغيرها .